اللواء ١٦ تشرين الأوّل ٢٠١٨

الثقافة بين الذكر والأنثى

هل تجاوز العالم شيئاً ما، التمييز بين الذكر والانثى؟ في السينما والمسرح ووسائل الاتصال والاعلام وعروض الأزياء وانتخاب ملوك الجمال، يتجلى التبدل بين الجنسين بل قل الطواعية في الميول موضوعي الساعة بامتياز، اذ ان الحدود المرسومة والقوالب المرتبطة بالجنس قد تزعزعت الى حد كبير. ومسائل الهوية الجنسية والطبيعية البشرية يتزايد طرحها في النقاشات العامة، أكان ذلك في الولايات المتحدة أم في أوروبا حيث تثير أحياناً صراعات ايديولوجية عنيفة.

المسألة هذه نطالعها في الصحف ونشهدا في مجالات بدائية كمجال توزيع المراحيض. وقد عبر فنانون كثر عن توقهم الى تجاوز التمييز الجنسي في صورهم ومنحوتاتهم ورسومهم وأزيائهم المبتكرة.

ولحسن الطالع ان ثمة حكماء وجامعيين عارضوا الموجة المفرطة في الدعوة الي دعم التماهي الجنسي أو التحول في الاتجاهين أو المثلية وتبعاتها. فها هو الرئيس الأميركي يعلن في راديكاليته التي تقض المضاجع هنا وهناك، انه ينوي حظر المجندين والمتطوعين المتحولين جنسياً في صفوف الجيش الأميركي.

لئن كانت الانماط المتبادلة تتحرك وتتبدل في الآونة الأخيرة، في الأوساط الاجتماعية الغربية على الخصوص، فان ثمة تصلباً من هذا القبيل على المسرح الثقافي، وتجذيراً للفروق بين الرجل والمرأة. يقر مثقفون مستنيرون في الغرب ان ثمة تساوياً ما ضرورياً وانما عبر التكاملية بين الجنسين. لذا، ينبغي ألا نمس ضوابط الجنس البشري كما هي.

في العصر الحديث، حصلت تجارب هنا وهناك لتأتي بديلاً من الأسرة، حتى لينين قام بواحدة منها فالغى الأسرة عند بدء الثورة البولشفية، ولكنه سرعان ما أعادها لأنه لاحظ تشتت الأولاد وضياعهم. الانسان المثقف يدافع دوماً عن الاختلاف لا عن الخلاف ويحاول تجنيب الأسرة أحد التطرفين: التقوقع والانانية. فأهمية الأسرة انها تمرين نموذجي على المحبة التي وحدها تجمع الى جانب العدل. اما الحالات الخاصة، فينبغي ان تكون لها حلول ثقافية – اجتماعية ناجعة هي وقف على الشرفاء العقلاء من المثقفين الحقيقيين.

ولنتحاش في بلادنا عن الضجر والتقليد الأعمى! حتى البطنة عندنا قد تذهب الفطنة!

د. جهاد نعمان